

كان يا ما كان

صاحبة القبة الحمراء



كان يا ما كان ...

صاحبة القُبَّعة الحَمراءِ



مقتبس عن حكايات الإخوة غريم
رسوم : منصور عموري

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَتْ فَتَاةٌ فَاتِنَةٌ تَعِيشُ مَعَ أُمِّهَا فِي قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ قُرْبَ غَايَةِ
كَثِيفَةٍ. ذَاتَ يَوْمٍ أَهْدَتْهَا جَدُّتُهَا قُبْعَةً حُمْرَاءَ لَمْ تَعُدْ تَرْتَدِي سِوَاهَا، لِذَا
لُقِّبَتْ « صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحُمْرَاءِ ». وَفِي صَبَاحِ يَوْمٍ مُبَكِّرٍ، جَهَّزَتْ لَهَا أُمُّهَا
سَلَّةً، وَضَعَتْ فِيهَا فَطَائِرَ وَزُجَاجَةَ عَسَلٍ.



ثُمَّ قَالَتْ لَهَا : « خُذِي هَذَا الْعَسَلَ لِجَدَّتِكَ لِتَتَقَوَّى بِهِ قَبْلَ الصَّيْفِ، حَتَّى تَتَحَمَّلَ
حَرَارَتَهُ الْحَامِيَّةَ ». ثُمَّ أَضَافَتْ مُحَذَّرَةً : « إِنْتَبِهِي يَا ابْنَتِي، لَا تُغَامِرِي فِي الْغَايَةِ
وَأَسْرِعِي دُونَ تَوَقُّفٍ ! هَلْ سَمِعْتِنِي ؟ »
« نَعَمْ، نَعَمْ، أُمِّي لَا تَقْلِقِي ! »



مَشَتْ صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحُمْرَاءُ زَمَنًا طَوِيلًا، يَتَعَطَّرُ قَلْبُهَا بِرَوَائِحِ الْأَزْهَارِ وَ الصَّنَوْبَرِ الْعَفِيفِ. وَلَمْ تَزَلْ بَعِيدَةً عَنْ مَنْزِلِ جَدَّتِهَا، حَتَّى سَمِعَتْ فَجَاءَةً خَشْخَشَةً صَادِرَةً مِنْ أَيْكَةٍ قَرِيبَةٍ. تَوَقَّفَتْ لِتَرَى مَنْ هُنَاكَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمَحْبُوبَةِ لَدَيْهَا. فَخَرَجَ الذُّئْبُ مِنْ مَحَبَّتِهِ فَحَيَّتُهُ وَ هِيَ لَا تَعْلَمُ أَنَّهُ مُفْتَرِسٌ. فَقَالَ لَهَا : « أَنْعِمْتِ صَبَاحًا ! إِلَى أَيْنَ أَنْتِ ذَاهِبَةٌ يَا فَتَاتِي الْجَمِيلَةَ ؟ »

– « أَذْهَبُ لِأُزُورَ جَدَّتِي الْمَحْبُوبَةَ .. أَحْمِلُ إِلَيْهَا عَسَلًا وَ فَطَائِرَ لَذِيذَةً . »
– « وَ أَيْنَ تَسْكُنُ جَدَّتُكَ ؟ »
– « فِي مَنْزِلٍ بَيْنَ أَشْجَارِ الصَّنَوْبَرِ الثَّلَاثِ وَرَاءَ الْعَابَةِ ! »
فَرِحَ الذُّئْبُ وَ خَطَّطَ لِأَكْلِ الْفَتَاةِ وَ الْجَدَّةِ مَعًا،

وَ أَخِيرًا قَالَ لَهَا : « لِمَاذَا لَا تَأْخُذِينَ بَاقَةَ مِنْ أَزْهَارِ الْعَابَةِ
الْمُعْطَرَّةِ لِحَدَّتِكَ ؟ أَرَأَيْكَ تَمْشِينَ وَ كَأَنَّكَ تَتَوَجَّهِينَ إِلَى
الْمَدْرَسَةِ ، مَعَ أَنَّ الْعَابَةَ مَلِيعَةٌ بِالْمُتَمَعِّ ! »

الْتَفَتَتِ الْفَتَاةُ مِنْ حَوْلِهَا وَ قَالَتْ : « فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ يَا صَدِيقِي !
فَرَأَتْ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ تَرْقُصُ بَيْنَ أَشْجَارٍ وَ أَزْهَارٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَلْوَانِ وَ هِيَ تُفَكِّرُ :
« لَوْ أَخَذْتُ لِحَدَّتِي بَاقَةَ فَسَتَسْعَدُ ، لِأَزَالُ الْوَقْتُ كَافِيًا لِأَصِلَ إِلَيْهَا . »





قَالَتِ الْجَدَّةُ بِصَوْتٍ خَافِيٍّ : « مَنْ الطَّارِقُ ؟ »
فَاجَابَهَا الذُّئْبُ مُقَلِّدًا صَوْتَ الْفَتَاةِ : « أَنَا يَا جَدَّتِي، أَحْضَرْتُ لَكَ عَسَلًا وَ فُطَائِرَ » .
رَدَّتِ الْجَدَّةُ مُطْمَئِنَّةً : « اسْحَبِي الْحَبْلَ فَتَنْفَتِحِ سُقَاطَةُ الْبَابِ » .
مَا كَادَ الذُّئْبُ يَفْتَحُ الْبَابَ حَتَّى قَفَزَ عَلَى الْجَدَّةِ فَالْتَهَمَهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ تَمَوَّهَ
بَثُوبِهَا وَ غِطَاءِ رَأْسِهَا . . عِنْدَيْهِ أَغْلَقَ السِّتَائِرَ ثُمَّ تَمَدَّدَ عَلَى سَرِيرِهَا .



بَدَأَتْ صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحَمَرَاءِ تَقْطِطُ الْأَزْهَارَ مِنْ هُنَا وَ هُنَاكَ، فَانْحَرَفَتْ
عَنِ اتِّجَاهِ مَنْزِلِ جَدَّتِهَا، حَتَّى صَارَتْ فِي عُمْقِ الْعَابَةِ . أَمَّا الذُّئْبُ فَقَدْ
انْصَرَفَ يَعْذُو بِسُرْعَةٍ حَتَّى وَصَلَ قَبْلِهَا وَ طَرَقَ الْبَابَ ثَلَاثًا .



دَخَلَتِ الْمَنْزِلَ ثُمَّ تَوَعَّلتْ فِي غُرْفَةِ جَدَّتِهَا قَائِلَةً : « أُسْعِدْتِ يَوْمًا جَدَّتِي ..
 أَحْضَرْتُ لَكَ فُطَائِرَ لَذِيذَةً وَ شَيْئًا مِنَ الْعَسَلِ ! »
 اخْتَبَأَ الذُّئْبُ تَحْتَ الْغِطَاءِ وَ هُوَ يُرَدِّدُ بِصَوْتٍ مُرْتَعِشٍ : « ضِعِي السَّلَّةَ فَوْقَ
 الْمَائِدَةِ . تَعَالِي وَ نَامِي بِجَانِبِي » .



كَانَتْ صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحُمْرَاءِ مُنْشَغِلَةً بِإِعْدَادِ بَاقَتِهَا وَ هِيَ تُغْنِي .
 فَجَاءَتْ تَذَكَّرَتْ جَدَّتِهَا ، فَأَسْرَعَتْ خُطَاَهَا وَ وَاصَلَتْ طَرِيقَهَا حَتَّى الْمَنْزِلِ .
 وَ عِنْدَ وُصُولِهَا انْدَهَشَتْ لِإِفْتِتَاحِ الْبَابِ .. قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « يَا إِلَهِي ، أَنَا
 الْيَوْمَ خَائِفَةٌ .. عَادَةً أَكُونُ مَسْرُورَةً جِدًّا بِقُرْبِ جَدَّتِي ! »

بَدَا الْوَضْعُ غَرِيبًا عَلَى الْفَتَاةِ فَتَحَاوَرَتْ مَعَ جَدَّتِهَا وَ هِيَ
تَتَعَجَّبُ لِأَمْرِهَا :

- « جَدَّتِي ! كَمْ هُمَا كَبِيرَتَانِ أُذُنَاكِ ! »
- « كَيْ أَسْمَعُكَ أَفْضَلَ يَا بُنَيَّتِي ! »
- « جَدَّتِي ! كَمْ هُمَا كَبِيرَتَانِ عَيْنَاكِ ! »
- « كَيْ أَرَاكِ بِوُضُوحٍ أَكْثَرَ يَا بُنَيَّتِي ! »
- « جَدَّتِي ! كَمْ هُمَا كَبِيرَتَانِ يَدَاكِ ! »
- « كَيْ أَحْضُنُكَ جَيِّدًا يَا بُنَيَّتِي ! »



- « لَكِنَّ، جَدَّتِي، كَمْ كَبِيرُ فَمُكِ ! »

- « كَيْ أَكُلُكَ أَفْضَلَ ! »

وَمَا كَادَ الذُّئْبُ يَنْتَهِي مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى قَفَزَ عَلَى الْبِنْتِ الْمُسْكِينَةِ.
فَالْتَهَمَهَا دُفْعَةً وَاحِدَةً.

شَبَعَ الذُّئْبُ، فَنَامَ نَوْمًا عَمِيقًا، حَتَّى أَنَّ صَوْتَ غَطِيطِهِ كَانَ مَسْمُوعًا.
مَرَّ صَيَّادٌ مِنْ هُنَاكَ، سَمِعَ الصَّوْتَ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : « هَذَا صَوْتُ نَوْمٍ عَمِيقٍ لِسَيِّدَةٍ
عَجُوزٍ مِثْلِ الْجَدَّةِ ! سَأَدْخُلُ لِأَرَى مَا بِهَا ! » دَخَلَ الْغُرْفَةَ فَوَجَدَ ذُئْبًا مَمْدَدًا عَلَى
سَرِيرِهَا. « هَذَا أَنْتَ .. أَيُّهَا الْمُجْرِمُ ! مِنْذُ زَمَانٍ وَ أَنَا أَبْحَثُ عَنْكَ يَا لَعِينُ » .



لَمْ يُطْلِقِ الصَّيَّادُ النَّارَ مِنْ بُنْدُقِيَّتِهِ وَ لَكِنَّهُ أَخَذَ مِقْصًا، وَ بَدَأَ يَفْتَحُ بَطْنَ الذُّئْبِ النَّائِمِ.
وَ بِمَجَرَّدِ أَوَّلِ ضَرْبَةٍ مِقْصٌ بَدَتْ لَهُ صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحُمْرَاءِ، فَأَخْرَجَهَا ثُمَّ أَخَذَهَا بَيْنَ
ذِرَاعَيْهِ مُحْتَضِنًا إِيَّاهَا، وَ هُوَ يَبْتَهِجُ بِسَلَامَتِهَا. خَرَجَتِ الْجَدَّةُ بِدَوْرَهَا وَ هِيَ تَتَنَفَّسُ
بِصُعُوبَةٍ. أَسْرَعَتْ صَاحِبَةُ الْقُبْعَةِ الْحُمْرَاءِ فِي الْبَحْثِ عَنْ حِجَارَةٍ كَبِيرَةٍ مَلَأَتْ بِهَا
بَطْنَ الذُّئْبِ. وَ عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ أَرَادَ الْهُرُوبَ، فَلَمْ يَقْدِرْ لِثِقَلِهِ فَسَقَطَ أَرْضًا وَمَاتَ.





غَمَرَتْهُمُ السَّعَادَةُ جَمِيعًا.. أَكَلَتِ الْجَدَّةُ الْقَلِيلَ مِنَ الْفَطَائِرِ وَالْعَسَلِ.
فَاسْتَرْجَعَتْ قُوَّتَهَا. أَمَّا الصَّيَّادُ فَأَخَذَ جُثَّةَ الذِّئْبِ وَغَادَرَ الْمَنْزَلَ. عَانَقَتِ
الْفَتَاةُ جَدَّتَهَا وَوَعَدَتْهَا بِأَلَّا تُخَالِفَ إِرْشَادَاتِ أُمِّهَا بَعْدَ الْيَوْمِ.